السعادة

﴿ للكاتب الروسي الشهير كوبرين ﴾

* * *

سلطان رفيع الشأن دعا الحكماء والشعراء في بلاده الى المثول بحضرته وطرح عليهم هذا السؤال

— ما السعادة ؟

فاجابه أولهم مسارعاً

— ان السعادة : يا مولاي : لهي في معاينة نور وجهك الروحاني و...

فقاطعه السلطان غير مكترث وقال لجنوده

— اسملوا عينيه ... وليتقدم سواه .

فقال الثاني

— ان السعادة لفي السلطة . اذن انت السعيد ايها الملك

فاجابه السلطان وقد ظهرت على شفتيه ابتسامة مرارة

— من اين لي ان اكون سعيداً وانا مصاب بداء عقام لم ينجع فيه علاج.
خذوا هذا الكلب وهشموا انفه . وليتقدم غيره

فقال الثالث

— ان السعادة لفي الغنى

فقال السلطان — أجل اني واسع الغنى ، عَلَى اني لا ازال أبحث عن السعادة . ألا قل لي يا هذا أتقنع بسبيكة ذهبية تثقل رأسك ؟

— مولاي ... !

— انك لتنال الغنى عن يدي . خذوه وعلقوا بعنقه سبيكة ذهبية تزن ثقل رأسه تماماً واطرحوا هذا الفقير في البحر

ثم هتف السلطان وقد فرغ صبره

— ليتقدم الرابع .

فتقدم شحاذ في اطمار بالية ، وهو يزحف عَلَى بطنه زحفاً وقد اتقدت عيناه بنار الجوع ، وقال

— ايها الحكيم في الملوك ، انا لا ابتغي سوى القليل . انا جائع فهلاّ اشبعتني ، فاصبح سعيداً ، واذيع اسمك ممجداً عَلَى رؤوس الملأ

فاجاب السلطان بلهجة الاشمئزاز

— خذوه واطعموه ، حتى اذا مات من التخمة خبروني بأمره

ثم تقدم رجلان — الاول عليج ، عظيم الجثة منتفخ الاوداج ، ضيق الجبهة ، تدل هيئته عَلَى العنف والقوة — والثاني شاعر نحيف البنية ، أصفر الوجه .

فقال العلج متنهداً

— ان السعادة في موهبة التأليف ونظم الشعر

وقال الشاعر الضئيل

— ان السعادة في حسن الصحة ·

فابتسم السلطان متمرماً وقال

— لو أتيح لي ان اجعلكما تتبادلان ما انتما عليه لغدوت ايها الشاعر بعد مضي شهر تتضرع الى آلهة الشعر لتنعم عليك بقليل من الوحي ، ولاصبحت انت ايها الجبار ساعياً ورآء الاطباء تبتلع حبوب الشفاء · ألا فاذهبا بسلام· وليتقدم من بقي ·

فتقدم السابع وقد زين نفسه بازهار الزنبق ، فقال بعجب وزهو

— ايها المائت ، ان السعادة في عدم الوجود ·

فقال السلطان متبالداً

— اقطعوا رأسه اذن ·

فصرخ الرجل مسترحماً متضرعاً وصار وجهه اشد ابيضاضاً من الزنابق

— عفواً ··· رحمةً ايها الملك · اني لم أعنِ ما قلته ···

— اخرجوه من هنا ··· اقطعوا رأسه · فكلمة السلطان ثابتة كحجر اليشم ·

وتقدم بعده كثيرون · فقال احدهم هاتين الكلمتين لا غير

— عشق الغواني ·

فقال السلطان

— بخ ! اعطوه مائة من حسان مملكتي واعطوه معهن كأساً من السم. ومتى ازف الحين اخبروني لامضي وانظر الى جثته .

وقال آخر — ان سعادتي القصوى لهي في ان تتم كل رغائبي .

— وما هي رغائبك الان ؟

— رغائبي انا ؟

— نعم ، انت .

— مولاي الملك ، ... ان سوءالك جاء في مباغتاً عَلَى غير انتظار ...

— ادفنوه حياً . ثم هوذا حكيم آخر . ادنُ مني يا هذا فلعلك تدري ما السعادة .

فقال الحكيم ، وكان في الحقيقة حكيماً

— ان السعادة لفي جمال الفكر البشري .

فارتجفت اهداب السلطان وصاح غاضباً .

— ايم تقول يا هذا !... الفكر البشري ، وما هو الفكر البشري ؟

الا ان الحكيم وكان بالحقيقة حكيماً — لم يجب ، بل ابتسم ابتسامة مشفق .

فأمر السلطان بزجه في اعمق السجون حيث لا تصل اصوات من الخارج وليس الا الظلام الدامس .

وعندما أخرج من سجنه بعد سنة وقد أصيب بالعمى والصمم واصبح

بالكد يستطيع الوقوف على رجليه الواهيتين — سأله السلطان

— كيف انت ؟ عساك لم تزل سعيداً ؟

فاجابه الحكيم بسكينة

— أجل ، اني لسعيد . فما زلت وانا في السجن ارى نفسي ملكاً وغنياً وحبيباً وشبعان وريان — كل هذا نلته بقوة فكري

فصرخ السلطان وقد فرغ صبره

— ويحك ، وأي شيء هو هذا الفكر ، ايها التعيس . ألا ، ليكن معلوماً لديك اني بعد خمس دقائق سآمر بشنقك ، وابصق في وجهك الملعون . فهل يسعدك اذ ذاك فكرك ؟ وأين يصبح ذلك الفكر الذي دوخت به الارض

فاجابه الحكيم بتأنٍ وسكينة ، لانه كان حكيماً حقيقياً

— ايها المغفل ، ان الفكر لا يموت